الفصل الخامس والخمسون

فى أغرب غرائب مصر وطلاسمها وعجائبها وحِرَفِ أهلها

سوف أتحدث عن لون بشرة شعب مصر، أم الدنيا، وحرفه بقدر وقوفى على حقيقة أمرها.

ومصر التى تحدثت عنها آنفا على وجه التفصيل هى «مصر القديمة» أى مدينة «الفسطاط» التى كانت عامرة فى الزمان الخالى. ومصر الحديثة ليست أحد أحيائها.

فقد أرخ علماء العالم بقولهم: إن حدود مصر تمتد من رشيد ودمياط والإسكندرية إلى إبريم وقلعة الصاى فى مسافة غاية فى عمرانها تقطع فى ثلاثة أشهر على ضفاف النيل حتى إن الرسائل كانت تسلم من يد إلى يد فتصل من رشيد إلى أسوان وأسنا والمنيا والصعيد العالى. فكانت مصر العتيقة مدينة مستبحرة العمران تتقارب قصورها العالية على ضفتى النيل بحيث يستطيع الديك أن ينتقل من سقف إلى سقف ويصل من مدينة بولاق ومصر العتيقة إلى مدينة «مقدونية» وهى موضع أثر قدم النبى ﷺ.

وكان أحد فروع نهر النيل يمتد من شمال مدينة القاهرة إلى عين شمس بمسيرة ست ساعات مستبحرة العمران على ضفتى النيل، كما أن أحد فروعه كان يبلغ مرحلتين من القاهرة حتى الفيوم وما بين ذلك حدائق وبساتين ولا يخلو موضع فيها من زرع. وهذا مما يجعله فى النظر أحسن وأجود الأقاليم، كما أنه أكثر الأقاليم خيرات وأكثرها قرى.

وفى جوف هذه الأراضى من أرض مصر كنوز عظيمة ودفائن جسيمة. يقول مؤرخ العالم الشيخ المقريزى: إنه لا يخلو ذراع من أرض مصر من كنز قديم.

وفى أيامنا تلك يعثر على أكثر من كنزين فى كل عام. وهذا ما يبين إلى أى حد بعيد كانت ضفة النيل معمورة.

وقد نزلت فى شأن مصر آيات قرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عز من قائل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٦]، وقد فسر المفسرون هذه الآية بقولهم أن المقصود منها أرض مصر ونهر النيل.

وقد دعا موسى ـ عليه السلام ـ على مصر وشعبها بسبب ظلم فرعون وسوء ما صنع فتبدلت من عمرانها بخراب ومن بساتينها بتراب. وفى ذلك يقول عز من قائل: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وعلاوة على خراب مصر بعد عهد فرعون يقول الحكماء: إن مصر وإن كانت قد تخربت سبع مرات فلا شك فى أنها عمرت كذلك سبع مرات.

أما محيى الدين بن عربى فيقول فى كتابه «الفتوحات المكية»:

«إن مصر بعد عام ١١٠٠ سوف تعمر إلى حد أن ذراعا من أرضها فى منطقة صحراوية أو منطقة تعلوها القمامة سوف يباع بألف دينار من ذهب، وسيأتى إليها «ابن كعب» من سلاطين آل عثمان فتطيب له مستقرا ومقاما ويتخذها حاضرة لملكه، وسيدور الفلك بما يحدث بها من أثر فيشيد شعبها المدن فى الصحراء حتى حدود مكة والمدينة ويجعلونها مروجا وحدائقا، وسيظهر بها أنهار كأن مياهها ماء الحياة فتصبح كل أكنافها رياضا وغابات وتظهر فيها الضوارى. وسيجرى بحر السويس من مدينة (بلبيس) ويصب فى البحر الأبيض، وسيفتح طريق بين غزة وقبرص تسير فيه القوافل، وسيجرى بعض الملوك ذوى الهمم ماء النيل إلى جبل الجوشى فى مصر، وسيتفجر الماء الحار فى ثلاث آبار فى القاهرة».

هذا ما ذكره ابن عربى فى كتابه «اللهم يسر يا ميسر».

ـ عجيبة:

والواقع أن ذوى السن من أهل القاهرة يقولون: إننا منذ سبعين عاما لم نكن نعرف فى مصر الحدائق ولم نشاهد إلا حديقة قايتباى فى «قره ميدان» وأشجار النبق والجميز هنا وهناك خارج القاهرة. ولم نعرف غيرهما فاكهة، والآن ينمو فى مصر عشرون نوعا منها ويهطل المطر فى العام وكأن قطراته الجوز وقد لا يهطل قط.

ولم نعرف فى مصر أحد يلبس الفرو فكان لبسه عيبا إلا للبكوات. ولم يكن يحل موسم الشتاء. أما الآن فيشتد برد الشتاء ويغزر المطر فصرنا نرتدى الفرو ليقينا شدة البرد.

وفى عهد كتخدا إبراهيم باشا اتفق أن نزل الثلج فى الصباح على مجرى العادة فجعل الأرض بيضاء وفى تلك الأوقات كذلك كان البَرَد ينزل وكانت الحبة منه تزن أكثر من ثلاثين درهما وعندما كان أبناء العرب يرون الثلج يسأل بعضهم البعض قائلا: إش هذا؟

وكان بعضهم يقول: «إن القطن نزل من السماء»، أما الترك فكانوا يحمدون الله ويأكلونه. وعندما كان العرب يمسكون الثلج بأيديهم كان يحرقها كأنه النار فكانوا يقولون: «هذا مثل القطن ولكن ناره قوية».

وعندما كانوا يشاهدون البَرَد يقولون: «وقع من السماء بيض الدجاج».

وحمدا لله فقد اعتدل جو مصر يوما بعد يوم ومضت شدة الحر وهطل غيث الرحمة مما غمر مصر بالخير فما وجد مثلها على وجه الأرض. وأصبحت «أم الدنيا» كأنها العروس فى زينتها، وبدأ المفتونون بها الاحتيال لصيدها.

أصل تسمية مصر «بأم الدنيا»

تضم مصر ما فى أنحاء الدنيا من جميع المخلوقات والملل الاثنتين والسبعين، واللغات المائة والأربعين، والله يبسط الرزق لهذا القدر من المخلوقات كرامة لمصر ولذلك تسمى بأم الدنيا.

وإذا ما ذهبت إلى أى مدينة فى مصر ونظرت فيها نظرة تأمل فلن تجد أحدًا يتجاوز الآخر من شدة الزحام، وفى الطريق العام لا يمكن أن تسمع إلا عبارات مثل: «ظهرك وجنبك، ووشَّك ويمينك، ويسارك» ولا يمكنك المرور بسهولة من داخل الأسواق من شدة ازدحامها بالخيول والبغال والجمال والحمير والسائقين.

وأهل مصر جميعا من الفلاحين الكادحين، لذا يعملون مثل «فرهاد» مما يعود بالنفع على مصر. ويسمونها أم الدنيا لأنها تطعم هذه الدواب والمخلوقات كافة وتطعم الدنيا بأسرها وكأنها أمها وتصدر كل سلعها إلى جميع أرجاء الدنيا.

وإذا ما قحطت الدنيا بأسرها والعياذ بالله فإن مصر تطعمها كأنها أم.

أما إذا قحطت مصر ـ حفظها الله ـ فإن جميع بلدان الدنيا تعجز عن إطعامها، ففى مصر أكثر مما فى الدنيا بأسرها من دواب ومخلوقات، كما أن أهلها كذلك لا يقعون تحت حصر. ومن ظلم وعسف جندها أصبح أهلها كقوم فرعون، ولأنهم بالغوا فى إظهار اسم «يا قهار» فقد حقر أهلها وذلوا واستحوذ جند السلطان على كل خيراتها وبقى الفلاح ذليلاً.

وفى شأن مصر وشعبها قال «كعب الأحبار» ـ رضى الله عنه ـ مصراعا على لسان مصر هو: «خلق الله الغنى بمصر فقال الذل أنا معك».

والواقع أن الضعاف والفقراء والأذلاء من أهل مصر كثرة كاثرة، حتى إنه فى عام ( )[1] على عهد عبد الرحمن باشا على الرغم من كثرة الغلال لسوء تصرف الحكومة احتكرها الأغنياء فقحطت مصر قحطا عظيما لدرجة أن بعض الفقراء أكلوا الميتة، والبعض كان له قميص واحد يشترك فى لبسه مع زوجته، فكانت تلبسه نهاراً ويلبسه هو ليلاً.

وكانوا يعيشون على عشرين حبة من الفول فى اليوم. إلى هذا الحد كان الفقر وكانت كثرة الفقراء. لأنه عندما تحصل الخزائن من الرعايا والبرايا وهى إحدى وثمانون خزانة كان مئات الآلاف من الناس يفلسون ويخلو وفاضهم. وهذه الخزائن المذكورة كانت تحصل بعد خمسة وسبعين يومًا من الحصاد. وباستثناء الماعز والأوز والحطب كانت ضريبة الجمرك تحصل على كل ما يطير فى السماء ومايدب على الأرض وما يسبح فى الماء وكل الأشياء «مقاطعة» حتى إن الفقراء المعدمين ممن هم فى أمس الحاجة إلى الفلس الأحمر يؤدون الضرائب للحكومة وهم مقاطعة.

ـ عجيبة أخرى:

ومن عجب أن بعض الفلاحين كانوا يسوقون أسرابا من الأوز فى شوارع القاهرة لبيعها وفى هذا الزحام كان الناس يدهمون بأقدامهم أسراب الأوز هذه فيجعلونها وكأنها رمال، ولكن لم تكن تفرض عليها ضريبة، وما عدا ذلك كانت تفرض عليه الضرائب والعُشر السلطانى.

(١) بياض فى الأصل.

- إحدى العجائب المضحكة ممن تحصل منهم الضرائب:

وكثير من الفلاحين يقيمون لهم أكواخا على ضفة الخلجان ويسكنونها، وإذا ما أراد أحد أن يشترى أوزة أو بطة كان يمضى إلى سكان هذه الأكواخ وإذا ما قالوا لأحدهم يا حاج أعطنا أوزة أو بطة. كان العربى يلبس القرعة التى بجانبه على رأسه ويمسك فى يده أربعين باعا من خيط الكتان ويقفز فى الماء ويبقى من يطلب البطة على الشاطئ ويسبح العربى فى الماء ويقترب من الأوز والبط ويندس بينهم ويربط أقدامهم بالخيط الكتانى الذى فى يده فلا تشعر به هذه الطيور لأن ما يطفو بجانبها قرعة والعربى يراقب الطيور من ثقب القرعة ويقيد أرجلها ثم يخرج إلى الشاطئ ويسلم طرف الخيط إلى من يطلب الأوزة فيقبض هذا الشخص على الخيط بيده ولا يجعله ينفلت منه ويجذبه رويدا رويدا حتى تقترب الطيور من الشاطئ، وعندئذ تدرك الطيور المسكينة ما وقع لها، فترفرف بأجنحتها. وتأخذ منها ما تريد من الطيور السمينة وتدفع پاره واحدة ثمنا لكل أوزة منها وتطلق النحيل منها.

وهذا العربى المذكور يلتزم بهذه الطيور ويؤدى ما عليه من ضرائب، وإذا ما صاد هذه الطيور غيره غرم. وكل ما يهرب من هذه الطيور المطلوقة يعود حتما إلى هؤلاء الفلاحين وكأنهم سحروا من قبل هؤلاء الفلاحين. وكم لهم من حيل وألاعيب شيطانية.

- من عجائب الغرائب:

وعجيبة أخرى من عجائب الزمان هى أنهم يدفنون عشرة آلاف بيضة فى روث الخيل وبعد عشرين يوما يخرج منها عشرة آلاف فرخ تبدأ فى السير فيحار لذلك عقل الإنسان وهذا أمر غريب عجيب. إلا أن هذا العمل لا يقتدر على القيام به كل أحد، فهناك قرية تسمى «برمة» وهى إحدى قرى سليمان بك أجد قادة الجند فى مصر فى قضاء «أبيار» بها من توارثوا هذه الحرفة أبا عن جد وتفريخ الأفراخ فى روث الخيل عمل اختصوا به دون غيرهم.

ومن يريد أن يفرخ الأفراخ بهذه الطريقة اصطحب منهم رجلاً يذهب معه حيثما أراد وهناك يشرع فى بناء فرن خاص بتفريخ البيض، وهذا الفرن فرن كبير يشبه فرن الخبز، تعلوه قبة وأسفله فراغ، وداخله مقسم إلى خانات، تفرش الواحدة منها بطبقة من الروث الناعم غير المحترق بسمك إصبعين ثم يضع فى كل خانة خمسين بيضة وينظر فى كل بيضة خلال نور الشمس، فإن كانت البيضة طازجة وضعها فى الفرن، أما إذا كانت فاسدة استبعدها، إذ إنها تنفجر من حرارة الروث وتفسد بقية البيض فلا تخرج منه أفراخ. لذا يضع البيض الطازج وهو يعرف أى بيضة تفرخ ديكًا وأيها تفرخ دجاجة، ثم يغطى هذا البيض كذلك بطبقة من الروث بسمك إصبعين ويضرم تحته نارا هادئة خفيفة تكفى لحرق الروث ولا تحرق الحطب وتدوم الحال على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يتجرد الرجل من ثيابه ويدخل الفرن وهو يقوق كالدجاجة ويقلب البيض بأكمله وفى يده قفاز من ريش الدجاج وبه يقلب الخمسين بيضة التى فى كل خانة ويضع بينهما ريش الدجاج ويحرق أنواعا من البخور يبخر بها البيض، ثم يخرج ويغلق فوهة الفرن.

ولم يطلع أحد على هذا العمل، إلا أننى بقيت فى هذه البلدة اثنين وعشرين يوما واطلعت على ذلك بعينى رأسى. وفى خلال العشرين يوما دخل الرجل القائم بتفريخ البيض الفرن ثلاث مرات وقلب جميع البيض.

وقبل أن تتم الأيام العشرون بدأت الأفراخ فى الخروج من البيض كأنها الجند وأخذت تنبش الروث الموجود داخل الفرن وفى التو أخرجها الرجل من الفرن، إذ إن فى الروث بيض لم يفرخ بعد ولكيلا يفسدونه أخرج الأفراخ التى خرجت لتوها من البيض.

وتسير الدجاجات التى ـ احتضنت بيضها حتى أفرخ، وخرج منه صغارها ـ وراء الأفراخ التى خرجت من البيض بالطريقة المذكورة أعلاه.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله فإن لحم هذا الدجاج الذى خرج من الروث ليس له من لذة الطعم ما للذة لحم الدجاج الذى حضن بيضه الدجاج. وهى ثقيلة اللحم والشحم

والحدأة عدو لـدود للأفراخ ولهذا يـقوم الصبيان عـلى حراستهـا وإلا اختطفتـها الحدأة جميعًا فى يوم واحد. وليس فى مصر طائر فى سمائها يؤذى إلا الحدأة.

ـ بيع الدجاج بالكيلة فى مصر:

وتعبأ هذه الأفراخ فى الكـيلة وتباع الكيلة منها بخمـس أو عشر پارات. ولله الحمد فقد شاهدت الدجاج وهو يـباع ويشترى بالكيلة فى مصر. والكـثرة الكاثرة من الدجاج الذى يبـاع بالكلية حـكومى، حيث يعـهد (الكلارجى بـاشى) أى القائم علـى مخازن الطعام الخاصة بقـصر الباشا ـ على أحد الأغوات بتفريـخ عدة آلاف من الأفراخ ويذبح منها خمسمائة دجاجة يوميًا فى مطبخ الباشا لتقديمها إلى أتباعه وحاشيته.

ومن لا يرى هذا القـدر من الأفراخ التى أفرخت لا يعرف إلى أى حـد كانت براعة هؤلاء الفلاحين فى مصر، وهذا فى الواقع ما لا يدركه عقل. يا له من سر عجيب.

مما ينهض دليلا قاطعا على أن الله يخلق ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته.

ـ أمارة على إعجاز الخلق:

فى المنطقة المسـماه «بسبيل علام» أنواع من الحجارة الملونة، ولحـجر سبيل علام ذائع الشهرة فى مـدينة القاهرة، وفى تلك الـصحراء أنواع من أحجار اليـاقوت والماس التى يصل ثمن الحجر منهـا مائة قرش وخمسمائة قرش. كما تكثر بهـا الأحجار التى تسمى بعين السمك وعين الهر والتى يباع الواحد منها بخمسة أو عشرة قروش.

وفى بعض الأوقات التى تشـتد فيها الرياح فتتشتت الرمال فتتـكشف عما لا يحصى كثرة من هذه الأحجار.

ويقوم الحكاكون بحك هذه الأحجار الخام ويصقلونها ويشكلونها فتباع بباهظ الأثمان بعد أن كانت بلا قيمة. ويعثر على أحجار أثمن من الماس ومن ياقوت «بدخشان»[1].

ومؤرخو مصر وعلماءها يزعمون أن «شـداد بن عاد» بانى إرم ذات العماد هو مشيد سبيل علام، وهذا ما اجتمعت عليه كلمتهم.

والواقع أنه فى سبيل علام هذه أسس لأبنية عظيمة هنا وهناك. وعندما خُلع إبراهيم

(١) بدخشان: ويقال بذخشان الآن فى أفغانستان، وهى بلاد خصيبة مشهورة منذ القدم بأحجارها الكريمة لا سيما معدن الياقوت واللازورد. انظر: بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج ص ٤٨٠ وما قبلها.

باشا مكث فى صحراء سبيل علام سبعة وسبعين يومًا. وكان خدامه يجمعون الأحجار من سبيل علام لكى يلعبوا لعبة «المنقلة»، وكان بعضهم يقدم ما يعثر عليه من أحجار إلى الحكاكين ليصنعوا منها فصوصا لخواتمهم، حتى أصبح جميع الخدام - يلبسون الخاتم فى أصابعهم.

إلى هذا الحد كانت توجد أحجار كريمة ثمينة فى صحراء سبيل علام.

- تأثير أحد الأحجار العجيبة:

وفى سبيل علام هذه حجر ثمين أصفر اللون، يأتى أطباء الفرنجة على الدوام فى هذا القيظ للبحث عنه. ومن خواص هذا الحجر أنه:

إذا أمسك أحد هذا الحجر بكلتا يديه شعر بالغثيان وقاء ما فى بطنه وطالما لم يطرح هذا الحجر من يديه لا ينقطع عنه الشعور بالغثيان. إلا أنه يخلصه من جميع ما فى جوفه من أخلاط مثل الصفراء والسوداء ولا يبقى فى معدته شىء وبذلك تنظف.

- من خواص أحد هذه الأحجار:

ثمة حجر ملون مثل الخرز يوجد فى المناطق الفضاء من سبيل علام، وهذا الحجر إذا ما ربطته المرأة فى خصرها وقت الجماع لم تحمل من أى شخص، ولذا يكثر هذا الحجر لدى بغايا «باب اللوق» فى القاهرة. حتى إن والدتى حينما ولدتنى تمزق فرجها بسبب كبر رأسى وخروج هذا الرأس بصعوبة، لذا كانت تستعمل هذا الحجر الموجود فى سبيل علام خوفا من أن تحمل ثانية فكانت تعلقه فى خصرها أثناء الجماع مع والدى. وهذا الحجر غير المبارك كان لدى والدى.

أرض مصر التى تثير العبرة

كان البدو فى مصر يأكلون الفئران وهذه حقيقة. ولكن أى نوع من الفئران كانوا يأكلون سنوضح:

فى مصر نوع من الفئران يسمى «فأرة الغيط». إنها مخلوق منظره يثير الضحك، تخرج هذه الفئران من جحورها عندما يغمر فيضان النيل أرض مصر كلها وعندئذ تخرج جميع النساء والغلمان إلى الصحارى لصيد الفئران على الشواطئ التى غمرها ماء

الفيضان ويملئون بها الـغرائر ويذبحونها فى منازلهم ويتناولون لحمـها ويبيعون جلودها، وهى غاية فى سمنها. وذيلها قصير ونوع منها ذيله طويل، وشفتها العلوية مشقوقة مثل شفة الأرنب. إنها فأرة غبراء، زنة الواحدة منها مائة درهم، ومنها ما يزن رطلاً.

وهذا الحيوان يتكاثر فى الأرض بأمر الله ولا يربيه أحد. حتى إنه يكوم أرضه أكواما أكواما، فيعرف الصيادون من ذلك أن ثمة فأر بـها فيحفرون جحره ويخرجون ما به من فئران ويأكلونها.

ولحكمة لا يـعلمها إلا اللـه فإن بعض هذه الفئـران فئران إلى وسطهـم أما ما تحت وسطهم لا يـفترق عن التراب، بـل هو تراب مخلوط بالـدم. وهناك فئران علـى هيئة تراب تنفخ فيها الـروح فيما بعد وتصبح لحما، أما إذا أخرجت قـبل ذلك من جحورها وتعرضت للهواء نفقت، إذ إنها لم تكتمل نموا.

سالت عنها العرب، فقالوا: إنها تتولد من الماء فى أربعين يوما.

وسألت قائلاً: هـل تتزاوج هذه الفئران؟ فقـالوا: نعم إنها تتزاوج، إلا أنـها لا تلد وذلك بأمر الله.

ثم سألتهـم عن نفعها، فقالوا: إن لحمـها سريع الهضم ومن أكلـه سمن، وهو جد مقو للباه.

وتلك حكمة عجيـبة كذلك، بيد أن طائفة المعتزلة من ضعافـى العقول ينكرون هذا من خلق الله، ولكنى رأيت ذلك بعينى رأسى وقد دفعت خمس پارات ثم عشر للعربان الَّذين يخرجون هـذه الفئران من جحورها، فرأيت أن نصفـها ذو روح والنصف الآخر من تراب وبعضها ممـا نصفها دم ونصفها تراب ليس لها روح. وهـذا من عجيب صنع الله. أوليس هـذا عبرة لمن يعتبر من بـنى الإنسان؟ ، وحسبنا قولـه عز من قائل ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...﴾ [المؤمنون: ١٤].

دليلا قاطعا على ذلك. ومن لم يسلم بآراء ومعتقدات المعتزلة ويقر آراء أهل الشريعة يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

ويقصر عن القول.

ذكر آصرة القربى بين الإنسان والنخل وشجر الجوز الهندى الأسود

فى كل عام فى قرى مصر يضعون سعفة من نخلة ذكر فى قلب النخلة الأنثى وذلك لإتمام عملية التلقيح بين النخلتين. وفى هذا العام تثمر النخلة الأنثى أكثر من خمسة عشر عرجونا[1].

وإذا لم يصنعوا ذلك لا تثمر النخلة الأنثى.

والنخلة الأنثى تحيض مرة فى الشهر وهى كالإنسان لها قلب فإذا ما قطعته جفت، أما إذا قطعت سعفها نمى غيره وازدادت النخلة طولاً.

ويسمون قلب النخلة «قلب البلح» وهو شىء لذيذ الطعم مقو للباه، ويستعمله الرجال فى مصر الذين عجزوا عن الباه، إنه فى لون الجبن وطعم اللبن، وتوجد هذه المادة بين ألياف السعف فى رأس النخلة.

ويقولون إن ثمة قربى بين الإنسان وهذه النخلة، فعندما خلق البارى آدم عليه السلام من قبضة من تراب خلق مما تبقى من التراب النخل وشجر الجوز الأسود الهندى وشجر الوقواق، وما تبقى من التراب خلق منه «يبروح الصنم» أى عبد السلام وهو عشب له شعر ولحية كالإنسان، ومنه الذكر والأنثى، فهو عشب له صفات بنى الإنسان. ويقولون إن هذا العشب خلق كذلك من التراب، «يفعل الله ما يشاء».

ـ آكلة الثعابين الحية:

ومن عجب أن فى مصر قوما يأكلون الثعابين وهى حية، وإذا ما ظهر ثعبان فى منزل أحد جاءوا بأحد من آكلة الثعابين هؤلاء ونفخ فى مزماره، فتتجمع حوله جميع الثعابين فيصارعها ويقبض عليها كلها، ويضعها فى مخلاته ويمضى بها، وبذلك تكون النجاة من هذه الثعابين.

ويقترب هؤلاء من أحد الأشخاص ودون أن يدرى هذا الشخص يخرجون من جيبه وحصنه العقارب والأفاعى وقد يخرجون من جنب أحد الأشخاص التفاح والخوخ والعنب فى غير موسم هذه الفاكهة. وفى بعض الأحايين يخرجون من حضن بعض

(١) العُرْجُون: العِذْق. وهو من النخلة كالعنقود من العنب. والجمع عراجين. المعجم الوجيز ص٤١٢.

الناس نـارا أو ماء، كما يطـلبون علـى أحد أن يظهر لـهم عمامتـه وعندما يـرفع هذا الشخـص العمامة عن رأسـه يتدفق الماء مـن عمامته أو يـخرج منها عقـرب أو أفعى، فيطرح الرجل عمامته أرضا ويولى مدبرا حاسر الرأس بلا عمامة.

وكان إبراهيم باشا رحمه الله تروق له مثل هذه الدعابات، إلا أنها فى الحقيقة مهارة تصل إلى درجة الإعجاز.

ـ جماع فلاحى مصر للتماسيح:

سلـف الحديث عـن جماع فـلاحى مصـر فى أسوان للـتماسـيح فى حـديثنـا عن المخلوقات التى تعيش فى النيل.

ـ شجرة الجميز العجيبة:

شجرة الجميز فى مصر شجرة ضخمة لا وجود لشجرة أضخم منها وهى تشبه شجرة «الدلب» فى بلاد الترك. وتمتاز شجرة الجميز بضخامتـها وظلها الظليل ونسيمه العليل. وأثمارها وطلاسمها على النحو التالى:

إذا ما ظهـرت هذه الشجرة فى بـستان أحد، اتفق صـاحب الحديقة هذا مـع بعض الأشخاص ويحمل فأسا ويدخل حديقته ويتسلق شجرة الجميز ويضربها مئات الضربات بفأسـه وإذا ما تجـرحـت الشجـرة يأتـى الأشخـاص الذين اتفق معهم، ويقولون له لماذا أقدمت على قـطع شجرة حية غضة مثل هـذه. فيقول الرجل: إنها ملكـى وإن أقطعها وهى بداخـل حديقتـى وهى لا تؤتى أكلا والمـرج لا ينبت فى ظـلها ويجـب علىّ أن أحرقها.

فيقـول الرجال تحت الشـجرة: أتقطع شـجرة فى هذا الجمـال، ما أجمل غصـونها وأوراقها، ويبسطـون إليه الرجاء ألا يقطعها حـتى تؤتى ثمارها وعندئذ يـجرى ما يشبه الدم من الثقوب التى أوجدها الرجل فيها بفأسه، فيكرر الرجال الرجاء إليه ويقسمون له أنهم يـضمنون أن تـثمر هذه الـشجرة سبـع مرات فى العـام ويأخذون الفـأس من يده ويطرحونه جانبًا ويحـيطون جميعا بالشجرة ويحتضنوها ويـحضر أناس آخرون ليشهدوا على ذلك. ومن بـعد تخرج هذه الشجرة الثمـار من تلك الثقوب التى أحـدثها الفأس فيها سبع مرات أو أكثر فى العام.

وثمار الجميز تشبه التين، ولكنها تختلف عنه بعدم وجود جلد داخلها فداخلها فارغ، وتزن الثمرة منه عشرين أو ثلاثين درهما. إنه فاكهة لذيذة الطعم، سهلة الهضم، ومنها الأحمر والأصفر والأبيض.

ومن عجب أن أغلب الثمار تنمو على غصون رقاق، ولكن ثمار الجميز تنمو فى جذع فى غلظ ثلاثة رجال ضخام. والجميز يثمر بهذه الطريقة بحيث لا يخلو موضع فى جذعه من الثمار. إنها شجرة موفورة المحصول.

ـ فوائد ثمار الجميز:

وفى الطب يعد الجميز ذو طبيعة معتدلة، فإذا ما تناولت ثلاث ثمرات من ثماره وشربت عليها الماء قوى نظرك. وإذا ما أصيب أحد بالإسهال وعصر أوراقه الخضر وشرب عصيرها، زال عنه الإسهال، وكم لقشور جذعها الخضر من خواص، والأطباء يعرفون من خواصه الطبيعية أكثر مما ذكرنا.

إنها شجرة تستحق المشاهدة.

خاصية أرض مصر

فى مصر يدفنون قرن الماعز فى الأرض ويروونه وبعد عدة أيام تنبت منها غصون خضر.

صناعة النشادر

تصنع النُّشَادر فى مصر من فضلات الإنسان، وله مصانع عجيبة سبق وصفها فيما تقدم.

عملية إنضاج العنب

عندما يكون العنب حُصْرُمًا يشعل فلاحو مصر الكبريت ويبخرون به هذا الحُصْرُم فينضج قبل أوانه بشهر. وهذه حيلة شيطانية عجيبة.

عملية إنضاج الشمام والبطيخ

يسمى الفلاحون زبل الحمام «برأس المال» وكانوا يضعونه فى جذور البطيخ والشمام فتنضج قبل الأوان بشهر وتمتلىء ماء.

ـ ميزات أحد الحيوانات العجيبة ـ

ثمة حيوان صغير يشبه ابن عرس يعيش فى مناطق زراعة قصب السكر فى مصر، منظره يبعث على الضحك. حتى إنه يربى فى بعض المنازل، وهو حيوان أليف يكثر فى حدائق الفيوم. والمكان الذى يعيش فيه هذا الحيوان لا تقربه الأفعى ولا الحية وتهرب من رائحته. فهذه الرائحة التى تصدر عن هذا الحيوان تهلك الأفاعى، إلا أنها تفيد الإنسان. يا لها من حكمة عجيبة.

ذكر معدن الذهب

على بعد ساعتين من القاهرة وفى الجهة القبلية لها خلف جبل الجيوشى تقع جبال عين موسى والتى تسمى «بجبل بجاميم»، وبها تكوينات جيرية حمراء اللون وإذا ما أحرق هذا الخام استخرج منه الذهب. إلا أنه لندرة الحطب فإن نفقات عملية استخراج الذهب تكون باهظة فلا يتحصل للقائمين بهذا العمل أى ربح.

وفى خلافة الحاكم بأمر الله استخرج الذهب طيلة سبع سنين، ثم سدت هذه المناجم وآثارها لازالت موجودة إلى يومنا هذا.

وتوجد مناجم الفضة فى جبل جالوت غرب القاهرة، وتوجد كذلك مناجم للذهب فى شرق مصر فى جبل المقطم المعروف بجبل الجوشى. وتوجد مناجم «الزمرد» فى ولاية الصعيد، ويوجد معدن النطرون فى أرض البحيرة، ويوجد ملح البارود فى كل قراها، كما يستخرج الملح من جميع بحيراتها.

مدينة عين شمس

كانت مدينة عظيمة فى شمال القاهرة بالقرب من المطرية، تبعد ساعتين عن القاهرة وهى الآن منطقةخربة، وكانت هذه المدينة حاضرة البلاد فى الزمان الخالى ولا تزال بعض آثار أبنيتها العظيمة ماثلة للعيان إلى يومنا هذا. وفيها «مسلة» سامقة كالتى فى «آت ميدانى» أى ميدان الفروسية فى اسطنبول. يبلغ طول هذه المسلة مائة ذراع، وعلى

جوانبها الأربعة نقوش باللغة القبطية، وفى ذروتها صورة فارس يمتطى جواداً وعلى رأسه العمامة المجوزة وفى ذلك إشارة إلى مقدم السلطان سليم إلى مصر.

وعلى الجوانب الأربعة لهذه المسلة نقوش وزخارف كنظيرتها الموجودة فى ميدان الفروسية باسطنبول.

وفى مدينة عين شمس هذه كثير من الطلاسم المعقدة والتى لا وجود لها فى أى بلد آخر، ولم تفك رموز هذه الطلاسم إلى يومنا هذا، وكل من بذلوا الجهد الجهيد لفك رموزها والوقوف على أسرارها دفنوا فيها.

وفى مجمل حديث مؤرخى مصر عن مدينة عين شمس امتدحوا قصرا كان بها فقالوا:

إن لهذا القصر مائة وثمانون نافذة وكانت الشمس إذا ما دخلته من إحدى نوافذه تجعل داخله منيرا ولذلك سموه «قصر عين شمس».

وفى رواية أخرى أن ثمة ملكة كانت تسمى «عين شمس» هى التى أقامت هذا القصر.

وعلى هذا القصر كانت تكمل الشمس مائة وثمانين منزلاً وعندما تأتى إلى منزلها الأول تعود. وآثار أبنية هذا القصر ظاهرة إلى الآن، وكان بها كذلك قلعة عظيمة لا تزال أسس جدرانها ماثلة إلى يومنا هذا.

جبال الأهرام وهى من عجائب الغرائب

تقع جبال الأهرام فى قصبة الجيزة على بعد ساعتين من الساحل الغربى للنيل.

وهى ثلاثة جبال، لا وجود لبناء أقدم منها على وجه الأرض، ولا وجود لما هو أعلى منها فكأنها «جبال قاف».

إنها جبال غاية فى عظم أبنيتها، وكل هرم منها صنم، ويسمى الهرم الأول «جبل بلبهث»، ويسمى الأوسط «جبل مهلوية»، أما الأخير فيسمى «بجبل أبى الهول» وكم من آلاف الروايات والأقوال وردت فى شأن هذه الجبال التى هى من صنع بنى الإنسان، فبعض المؤرخين يذهب إلى أن مشيدها هو «عاد بن شداد»، والبعض الآخر يذهب إلى أن الملك «سوريد» هو الذى أقامها بإيعاز من الكهنة لتكون مقبرة له. وبعد الانتهاء من

بناء هذه الأهرام الثلاثة ملأها بكنوزه وخزائنه، كما نقل إليها جميع كتب تعاليم سيدنا إدريس، وجميع الأسلحة ووكل بها إلى بعض من يصنعون الطلاسم، وغطاها بالحرير، كما شيد كذلك مدينة عظيمة على شاطئ النيل ليسكنها سدنة هذه الأهرام.

وفى فصل الربيع من كل عام يأتى الناس من كل فج عميق ويطوفون حول الأهرام كطواف المسلمين حول الكعبة.

أما ابن جلال فيقول: إن هذه الأهرام كانت تسمى فى اللغة القبطية «برابى» لأن أول من بناها هو «برابى بن درمشيل بن مخويل بن خنوخ بن قاين» لذلك سميت باسمه.

ومن الناس من يقول: إن ثمة ملكة كانت تسمى «دلوكه» كانت تحكم قبل فرعون وهى التى بنت الأهرام، ولأن هذه الملكة كانت من الفراعنة سميت هذه الأهرام «جبال فرعون»، ومع مرور الأزمان جاء ملوك من نسل هذه الملكة رعموا هذه الأهرام باعتبارها أبنية شيدتها جدتهم. ونفهم من ذلك أنه ربما تكون هذه الأهرام من بناء هذه الملكة المسماة «دلوكة».

والبعض يقول إنها من بناء «تدوره جادو» ودفن كهنة أشمون وأتريب وصاى مع تواريخهم داخل هذه الأهرام.

أما على ضوء ما ورد فى تاريخ «الشهابى» فإن أول من بنى هذه الأهرام هو الملك سوريد بن شهلوق بن شرباق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال.

وثمة باب مطل على الناحية الشمالية للهرم الواقع فى الجهة الشمالية وبداخل هذا لباب وعلى الأحجار فى الناحية اليمنى نقوش باللغة العبرية جاء فيها:

(أنا بانى الأهرام وقد أتممت بناءها فى ستة أعوام، أيستطيع من يجيئون من بعدى ندمها فى ستمائة عام والهدم أيسر من البناء. وقد غطيتها بالديباج، أيستطيع الملوك من بعدى أن يكسوها بالحصير).

وعندما هبط الخليفة المأمون مصر قادمًا من بغداد عقد عزمه على أن يكشف عن كنز الأهرام وبذل الهمة طيلة سبعة أشهر، فكوم حولها الحطب وأضرم فيه النار وسكب عليها الخل وضربها بأحجار المنجنيق الضخمة فهدم قدر عشرين ذراعا منها فعثر على جرة مرصعة بالزمرد بها ألف دينار من ذهب، وكل دينار يزن أوقية، كما عثر على حجر يضم نقوشا جاء فيها:

«يا من تتوق نفسك إلى فتح هذا القبر للكشف عما به من دفائن، مهما بذلت من جهد جهيد وأنفقت من مالك الكثير لتحصل على المال الجزيل ومهما ازددت طمعًا فسوف ترحل عن تلك الدنيا الفانية».

وحينما شاهد جند المأمون هذا الكلام (أصيبوا بخيبة الأمل)، إذ إنهم بعد أن كابدوا شتى صنوف العناء طيلة سبعة أشهر فى هذه الصحراء المترامية الأطراف وأنفقوا من المال ما أنفقوا لم يعثروا إلا على ألف دينار من ذهب.

سبق أن أشرنا إلى باب فى الناحية الشمالية بداخله حجر كتب عليه:

«أيستطيع ملوك الأجيال التى تأتى من بعدى أن يكسوا الأهرام بالحصير» فخالها المأمون رموزا وأمر بها فكسوا نصفها بالحصير المصرى وعندئذ عصفت ريح صرصر عاتية أذرت برجاله وحصيرهم فى الهواء، فوقع الجزع والهلع فى القلوب.

ونزولا على سداد رأى «حسين بن سهيل» وزير المأمون نفضوا أيديهم من هذا العمل ومضوا إلى حال سبيلهم.

وإلى الآن تبدو المواضع التى انهدمت فى عهد الخليفة المأمون. وعندما شرع يوسف صلاح الدين يجدد بناء قلعة القاهرة نزع الأحجار من جبال الأهرام وشيد بها قلعة مصر الداخلية والقلعة القبلية. وجاء من الحجارة التى نزعها من جبال الأهرام ومواضع الحجارة التى انتزعها ظاهرة للعيان إلى يومنا هذا.

ذكرت أن بانى الأهرام هو الملك «سوريد» وهو القائل «لقد بنيت هذه الأهرام فى ستة أعوام فهل يستطيع من يجىء بعدى من الملوك هدمها فى ستمائة عام» وإنى أفند زعمه فأقول إننى لو لغمت هذه الأهرام بمائة قنطار من البارود الأسود وستة صناديق من

لغم قلعة قاندية فسوف تنسفها جميعا وتجعلها رأسا على عقب وفى تلك الساعة لن يبقى لها من قرار على وجه الأرض.

لكن فى الواقع إننى ما رأيت على وجه الأرض أبنية عظيمة مثلها، ولله الحمد إنه فى عهد إبراهيم باشا بينما كنا نرعى خيولنا بجوار الأهرام لبثنا أكثر من خمسة أيام للراحة والاستحمام ثم مضينا إلى هناك عدة مرات للفرجة فبلغ منى العجب مبلغه وفى إحدى المرات اتفق أن كان معنا خمسة وأربعون رجلا من رجال الأمير أخور (أى بك الأصطبل) وبهلول أغا وغيرهم وأحضرنا معنا المشاعل والقناديل وقمنا بإزالة ما على الباب الشرقى للهرم الأكبر من رمال تراكمت وعندما دخلناه متعوذين باسم الله نظرت فى البوصلة والساعة ومشينا فى داخله سبعة أقدام ناحية الجنوب فى ممر واسع يعلوه عقود حجرية ترتفع عشرين ذراعا وكان اتساع الممر عشرة أذرع.

وعلى جانبيه عدة كهوف وقاعات وقباب من الحجر مزدانة بنقوش ذهبية وكأنها خرجت لتوها من يد «بهزاد»، وكانت كل حجرة تغص بعظام وجماجم الآدميين وكل جمجمة منها تتسع لمائة كيلة من القمح، وكم كان هناك من جماجم مختلفة الأحجام بين كبيرة وصغيرة لا يعلم عددها إلى الله.

وثمة عظمة رفيعة مكسوة بالجلد وهى بمقياس شبرى سبعون شبرا وغير ذلك عظام كثيرة وفى أحد هذه الكهوف العظيمة دفنت كثير من الجثث للحنطة وعدة مئات من الطيور المحنطة بطول سبعين قدما أو أكثر تنبعث منها رائحة كريهة قاتلة كرائحة زبل الغراب وجميعها معلقة من مناقيرها على الصخور. واصطدمت قناديل بعض الرجال بها فاحترقت أجنحتها وريشها فأصاب بعضها وجوهنا، وفى تلك اللحظة تقهقر بعض رفاقنا بقناديلهم خوفا من أن ينالهم أذى، ولكنى بقيت مع الخمسة والثلاثين رجلاً وسرنا ساعة بكاملها ناحية القبلى بالاستعانة بالبوصلة فوصلنا إلى قاعات - غاية فى الفخامة والزخرف، وفى كل منها جثث محنطة لآدميين منها الراقد ومنها الجالس وأطول هذه الجثث لأناس من رجال يوم القيامة وإلى جانب هذه الجثث حصير بال وليف النخيل المغطى بالرمال وتقدمنا من ذلك الموضع ما يقرب من خمسين قدما فى

ارتفاع وانخفاض فوجدنا حوضا كبيرا ممتلئًا بالماء الصافى وعلى الجوانب الأربعة لهذا الحوض جلست طيور مخيفة تخلع القلوب ببشاعتها تشبه العقبان والأور وعندما رأتنا بسطت أجنحتها فسمعنا ما يشبه الرعد وكأنما سالت أدمغتنا من آذاننا وعرت الخفافيش ملابسنا وقال حملة المشاعل: إن المشاعل على وشك الإنطفاء وجملة القول أننا عندما شاهدنا أجنحة العقبان خلعت قلوبنا من الهول والفزع وما استطعنا أن نحرك أقدامنا بخطوة واتفقنا على العودة فهبت ريح عقيم من جانب هذه الطيور لها إيذاء ريح الشتاء قارصة البرد، وقلنا كيف يكون مصيرنا إذا ما انطفأت مصابيحنا ومشاعلنا، ولدى خروجنا إذا بنا نرى أن لكل خفاش من تلك الخفافيش فراشة فى حجم الحمامة كانت أجنحتها تصطدم بمشاعلنا ووجوهنا.

وعلى أية حال خرجنا ولدى عودتنا التقينا برفاقنا الذين فروا من قبل وجعلوا يهزأون بنا ويضحكون من وجوهنا الملطخة. ويعلم الله أننا خرجنا سالمين وقد بلغ بنا الجهد مبلغه وأنهكنا التعب والإعياء، إلا أننا شاهدنا أشياء عجبًا ولا يعلم أحد ما وراء هذا الحوض إلا الله. وهكذا شاهدنا الهرم الأكبر فما رأينا خزانة ولا كنزًا وإنما رأينا جثثًا محنطة دفينة.

إلا أن هذا الهرم طلسم ما فى ذلك شك أو ريب لأننا بهتنا عندما بلغنا هذا الحوض المذكور وعندما خرجنا من الهرم كان قد بلغ منا الإعياء مبلغه ولما تنسمنا الهواء دبت الروح فينا ـ لا يسر الله لنا دخوله ثانية ـ، بعد ذلك تناولنا الفطور وشربنا القهوة فى خيامنا وطوفنا حول الأهرام الثلاثة.

ويبلغ كل هرم من الهرمين مائتى قدم طولاً وعرضًا وعلى هذا الحساب يكون محيط كل واحد منها ثمانمائة قدم وبعض الأحجار فى قمته يصل حجمها إلى مائتى باع.

وفى الجانب الشمالى من الهرم الأكبر الباب الذى دخلنا منه، أما أبواب الأهرام الأخرى فغير ظاهرة. إلا أن هرم أبى الهول غاية فى صغر حجمه إلا أن كلا من الهرمين الآخرين يناطح الفلك. إنها جبال مخروطية الرأس وقد تسلقت الهرم الذى دخلته إلى قمته فكانت ميدانا يتسع لإقامة خيمة ذات عشرة خزائن. وفى بعض الثقوب

الموجودة فى الأحجار عثرت على أوكار الشواهين والصقور والحمام والحدأة، وبدت القاهرة كلها تحتى. إنها جبال عالية إلى هذا الحد البعيد.

وحول هذه الأهرام العديد من الأبنية المطلسمة مبنية بالحجر الأسود وإذا ما ذكرت أوصافها لَمَسَّت الحَاجَةُ إلى كتابة مجلد بتمامه.

تتمة الحديث عن الأهرام

عندما ذهب المبعوث الذى أرسله المقوقس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شرف بالدخول فى الإسلام وهذا المبعوث هو «ذو النون المصرى» الذى ولد فى شرق إخميم بالصعيد العالى وكان فريد دهره فى فصاحته وإبانته، وبعد أن فتحت مصر دخل ذو النون هذا الأهرام بإذن من عمرو بن العاص وقرأ ما بداخلها من نقوش عجيبة وترجمها إلى اللغة العربية وهذه النقوش هى:

احذر العبيد المعتقين
والأحداث والجند المتعبدين
والنبط المستعربين

ونص آخر جاء فيه:

يقدر المقدور
والقضاء يضحك

أما الهرم الأصغر الذى بناه «قليمون الحكيم» قبل الطوفان ففيه بيت مكتوب هو:

تدبر بالنجوم ولست تدرى ∴ ورب النجم يفعل ما يريد

ذكر عجائب الأشكال الطلسمية لأبى الهول والذى يسمى فى العبرية «بلميب»

رأس كبير من حجر أبيض فى حجم قبة الحمام، يقع كذلك فى الناحية الشرقية من الهرم الأصغر. ولا وجود لمعالم أخرى لجسم التمثال بخلاف الرأس والجزء الذى خلف الرقبة. فهذا التمثال عبارة عن رأس ليس إلا، ولهذه الرأس وجه متجه نحو الشرق وحاجب وعين وأسنان وأذن وشفتان وعنق. وهى تتسع لمجلس مائة رجل.

وقد صنع هـذا التمثال أحد عـباقرة السلف، وقـد صنع بضربات فـأسه هذا الرأس وكأن له روحا وكان هذا الـرأس يبتسم، وأظهر الصانع ذوائب هـذا الرأس وكأنه عمل السحر المعجز واستعرض مهارته وبراعته فى ذلك.

وفى الزمان الخالى كان هذا الرأس يتجاذب أطراف الحديث مع الغادى والرائح، فقد كان طلسما. فكان يستنبط الأسرار والغيـيات فيتنبأ بمن سوف يعتلى عرش مصر ووقوع القحط والـغلاء وتفشى الطاعـون وسقوط المطر واحتبـاسه ومقدار فيضان الـنيل وعدم فيضانه وما يحدث وما لا يحدث وكل الغيبيات الخمس.

وعندما ترامت إلى سيدنا موسى الأخبار عن مكاشفة أبى الهول للأسرار الغيبية جاء إليه ـ عليه السلام ـ وبعد حوار طويل قال سيدنا موسى عليه السلام لأبى الهول:

إنك قادر على نطق كل الكلام، فأمن بحق رسول الله، فقال أبو الهول:

إننى لا أومن إلا بإدريس ـ عليه السلام ـ وعنـدئذ دخل موسى غَضَبٌ لا مزيد عليه فانهال عليه ضربا بعصا فى يده محطـما أنفه وفاه، وقال له: اسكت يا ملعون. ومضى وإلى الآن منذ عهد سيدنـا موسى لم يتكلم أبو الهول، كما أن أنفـه وفمه محطمان من ضربات عصاه.

إنه أثر عجيب من صنع الإنسان، وفى رواية أخرى أنه من صنع السحرة.

لكن الـناس يقولون: إن امـرأة سرق منها مـال كثير، فـسألت هذه المرأة أبـا الهول قائلـة: مـن سرق مالـى؟ فقال: إن فلانـا هو الذى سرقه، فانطلقت المرأة فى الحال إلى القاضى وكبس بيت الرجل؛ فوجدوا أموالها غـير منقوصة، فمضى الرجل السارق إلى أبى الهول وصعـد رأسه وتغوط عليها، فبطـل أثر الطلسم منذ ذلك الحـين وسكت عن الكلام.

إلا أن رواية موسـى ـ عليه الـسلام ـ صحيـحة، إذ كان من أولـى العزم وبمعـجزة ضرباته أصابه البكم والصمم. وأبو الهول الآن رأس يأتى الناس لمشاهدتها.

وعلى مقربة من رأس أبى الهول موضع آخر يـستحق المشاهدة. إنه باب دير قد سد بالرمال والغثاء، ولكن فى العقد الذى يعلو يـمنة بابه العديد من النقوش المحفورة على

الرخام. وعلى الرغم من براعتى فى قراءة شتى الخطوط إلا أننى لم أر خطا يشبه هذا فكان من المحال قراءة حرف من حروفها.

طلسم أبى الهول

جاء فى تاريخ ابن جلال أنه عام ٧٨١ كان هناك من يسمى «محمد الصوفى» يسكن خانقاه الصلاحية وكان شخصا متعصبا إلى حد جد بعيد، زاد فى تحطيم أنف وفم أبى الهول مدعيا أنه صنم وقد فعل ذلك دون مراجعة القاضى والاستئذان منه واتفق أن عصفت ريح شديدة فى هذا اليوم فغمرت مزارع الجيزة بالرمال واستحال زراعة الغلال والبرسيم، فمضى أهل الجيزة بمحمد الصوفى هذا إلى القاضى، وصاحوا قائلين: إنه غمر مدينتنا بالرمال، وعندما استجوب محمد الصوفى قال: لقد نهيت عن المنكر.

وما أن سمع الأهالى ذلك منه حتى مزقوه كل ممزق ودفنوه إلى جوار أبى الهول.

وإلى يومنا هذا من أتى لمشاهدة أبى الهول رجم قبر هذا الصوفى الضال.

نعم الله على مصر

لا وجود للجراد قط فى أرض مصر، وإذا ما جاءها من بلد آخر هلك، حتى إنه فى عهده (صلى الله عليه وسلم) أصاب الجراد مكة والمدينة، وأخطر الصحابة النبى (صلى الله عليه وسلم) بما أصابهم ورغبوا إليه بأن يدفع عنهم شرَّ هذا الجراد، فبسط صلى الله عليه وسلم يده ودعا الله قائلاً: اللهم ادفع هذا الجراد إلى كنانتك مصر. فقال الصحابة (رضوان الله عليهم): يا رسول الله إن خيرات مكة والمدينة تأتى من مصر، فإذا بلغ الجراد مصر وأتى على محاصيلها وقع القحط والغلاء. فقال صلى الله عليه وسلم: إن مصر فى حمى الله فإذا ما نظر إليها أحد بعين الازدراء والتحقير وظلمها وعاث فيها فسادا هلك.

وهذا واقع لا مراء فيه، فإلى الآن لا وجود للجراد فى مصر لأنه إذا بلغها هلك وللجامع الأزهر طلاسم تمنع دخول الحمام والذباب والأفاعى والحيات وغيرها من الهوام، ومفعول تلك الطلاسم مستمر إلى الآن.

ـ طلسم آخر (السفينة الحجرية):

ثمة قلعة عتيقة تقع داخل قلعة الكبش بمدينة القاهرة، بالقرب منها زاوية السلطان «جاولى» وأسفل سلم هذه التكية حوض من الرخام الأخضر قطعة واحدة وهو مستطيل الشكل يشبه السفينة. وفى الزمان الخالى كان يركب هذه السفينة الحجرية أربعة أشخاص يعبرون فيها النيل ذهابا وإيابا، وإذا ما ركب فيها خمسة غرقت وقد جعل لها الكهنة القدماء طلاسما على هذا الأساس، وقد عرف الناس طبيعة هذه السفينة فكانوا يخافون ركوب أكثر من أربعة فيها، وكان من يركبونها يمضون فى سرعة البرق الخاطف.

وإلى عهد «كافور الإخشيدى» كانت تلك السفينة تغدو وتروح فى النيل فى طرفة العين. وذات يوم عندما علم كافور الإخشيدى أن هذه السفينة من الحجر والحجر من طبيعته أن يرسب فى الماء فصاح قائلاً: كيف إذن لسفينة من الحجر أن تغدو وتروح منذ مئات السنين فى النيل وهى تحمل أربعة رجال ما السر فى ذلك يا ترى؟

فأمر رجاله بشد السفينة من النيل إلى اليابسة فشاهد طلسما أسفل هذه السفينة وكان عبارة عن سطر باللغة العبرية وصورة سمكة وصورة شعير ولا شىء سوى هذا فاستدعى جميع علماء مصر فما استطاعوا فك رموز هذا الخط. ثم أعادوا السفينة الحجرية إلى شاطئ النيل وركب فيها أربعة أشخاص ودفعوا بها فى النيل فغرقت بمن بها. وربما تكون غرقت بسبب بطلان تأثير طلسمها عندما أخرجوها إلى اليابسة أو أن يكون أحد قد تعلق نظره بها فحسدها.

وهذه السفينة الحجرية المذكورة موجودة إلى الآن أسفل سلم زاوية السلطان الجاولى وهى حوض مملوء بالماء الزلال ليل نهار وتشرب منه دواب السقادى والرائح، ومع ذلك يظل ممتلئًا، ولا يعلم من أين يأتى ماؤه. ولوقوع هذا الحوش على الطريق الرئيسى لبولاق فهو يسترعى نظر المارة. وعلى الجوانب الأربعة لهذا القارب كتب ترتيب ديوان سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وكتب أسماء كل ذى روح من إنس وجن وحيوان وطير وكأن هذا الخط خط بهزاد وشاه قولى. إنه ديوان يستحق المشاهدة يخلب لب من

يشاهده، ويتسع لعقد مائة ديوان فى آن واحد. وحكم الإنس والجن والوحش والطير لم يدم لسليمان. تلك هى الدنيا التى لا تدع شيئًا إلا ما سوى الله. اللهم يسر.

من خواص أحجار مصر

ثمة حجر لامع يضرب لونه إلى الحُمرة يوجد فى الجبل الأخضر بمصر، إذا ما وضع هذا الحجر فى أفران الخبز أكسب الخبز حمرة وعجل بنضجه. إلا أننى لم أشاهد ذلك ولكن نقلت ذلك عن بدو البهيجة وحنادى عندما ذهبت لتسجيل أسماء حجاج المغرب بتكليف من إبراهيم باشا فى حوش عيسى، كما قالوا إنه يوجد كذلك لدينا فى «عز الدين».

طلاسم أم القياس

على الجوانب الأربعة لحوض أم القياس خط غريب عجيب بتأثيره ما إن يحل شهر «توت» القبطى إلا وتسقط النقطة فى بداية هذا الشهر ويفيض النيل.

ـ طلسم آخر:

أقام سيدى الشيخ البطرانى هيكل تمساح فى حوض أم القياس ورسم على صدر هذا التمثال طلسما، ومنذئذ لا تمر التماسيح من أم القياس، وإذا ما مر تمساح مع فيضان النيل انقلب على ظهره ونفق. وفى تلك الأماكن يبتلع التمساح من خوفه الحجارة فيثقل إلى أن يمضى فيضان النيل وتصفو مياهه ويهبط التمساح إلى قاع النيل ويعيش على الطين طيلة ثلاثة أشهر ثم يعود من أم القياس وينجو بذلك من الطلسم.

من تنبؤات المنجمين

ثمة دير عظيم عند باب القصر بمدينة القاهرة، وهو الآن مدرسة، وصنع كهنة السلف فى هذا الدير وجها من النحاس عليه نقاب مذهب، ونبى آخر الزمان يكون صاحب هذا الوجه وسيكون لأمته ملك مصر يقيمون فيها العدل، ومن سيفتحها من الرجال بعده ﷺ عام ١٨ هو عمرو بن العاص وزير الفاروق عمر بن الخطاب هذا ما ورد ذكره على الرخام الأبيض لصورة شخص ذى خرقة صفراء فوق جمل أبيض وعلى صورة سيدنا محمد ﷺ كتب على الرخام الأبيض آية من الإنجيل باللغة اليونانية معناها هو :

أن هذا الرجل من أبناء آزر وهو نبى واسمه محمد يملك الدنيا والآخرة.

ولكن عندما حاصر عمرو بن العاص مصر طمس النصارى صورة سيدنا عمر المنقوشة على الرخام.

طلاسم القلعة الداخلية

فى قاعة ديوان قلاوون بالقلعة الداخلية ثمانية وأربعون عمودا ينتهى كل منها بطلسم عظيم وقد سبق ذكر ذلك فى مجمل حديثنا عن أوصاف القلعة الداخلية.

وفى مصر مئات الآلاف من العجائب والغرائب رأيت منها مئات تخلب لب من يشاهدها والله أعلم.

ذكر ما فى مصر من أطعمة وأشربة ونباتات وثمار لا وجود لها فى بلاد الترك

فى مصر سبعة عشر نوعا من التمر لا وجود لها فى بغداد ولا البصرة ولا الإحساء فهى لا وجود لها إلا فى مصر وحدها وهى غاية فى لذة الطعم.

النوع الأول: وهو التمر الأبيض ومنه ثلاثة أنواع، منها نوع مستطيل يشبه تمر بغداد ذى النواة وهو كالسكر وهو كذلك رطب يذوب فى حنك الإنسان.

النوع الثانى: وهو أقصر منه ونواته فى حجم حبة القمح وهو كذلك رطب مثل ثمار المشمش.

والنوع الثالث: أبيض عادى تنبعث منه رائحة المسك.

إلا أن هذه الأنواع الثلاثة من التمر تجف من شدة الحر، ولا تحتمل النقل من بلد إلى آخر لأنها طازجة رطبة، تباع رطبة طازجة ولكن لا تباع على النطاق الأوسع.

وهناك «**التمر الأصفر**» وهو كذلك له أنواع وهو غاية فى لذة طعمه وهو لا يجف طالما كان نظيفا ويباع طازجا.

وهناك كذلك «**التمر الأحمر**» وله أنواع خمسة منها نوع بلدى وهو تمر نظيف لطيف برتوى بماء النيل فى مدينة القاهرة ومنه ما يسمى السلوانى والمدنى والحموى والشامى والبستانى والرطب منه غاية فى اللذة وهو مقو. وعلاوة على هذه الأنواع هناك نوع

بنفسجى اللون ينضج فوق نخيله فيصبح مثل «المصطكا» وهو غاية فى اللذة.

و«**التمر الأسود**» ثلاثة أنواع، منها نوع جاف ثماره كالحصى، يضعونه فى جلود الإبل ليحمل إلى القاهرة وغيرها من البلاد، ولو ترك فى موضع خمس سنوات لما فسد ولا تستطيع الفأرة أن تأكله. وفى البلاد الأخرى ينقع فى الماء ويؤكل فهو غاية فى اليبوسة.

وهناك نوع من التمر هو «التمر الصعيدى» ومنه نحو عشرة أنواع. كما أن التمر الأسوانى لذيذ الطعم. وفى مناطق أسوان والشلال هناك «تمر العاص» ونخلاته تنمو من نواة واحدة حتى تناطح السحاب، وتمر العاص هذا ينفرق عذقا عذقا، وأوراقه مفلطحة وثمرته تزن سبعين درهما أو مائة وهى فى حجم قبضة اليد، ونواته مفرغة يضعون فيها الفلفل، وثماره ليست لذيذة الطعم يأكلها الفلاحون، ويملأون زنابيلهم بتمر «الطين» ويحملونها من ولاية إلى ولاية.

وهناك «التمر القدرى» وهو نوع من التمر يشبه التمر «العقيق اليمنى» وهذا النوع صغير الحجم، لذيذ الطعم إل أبعد حد، ويصدر بكميات ضخمة فى زنابيل إلى اسطنبول وسلانيك وغيرها من البلاد.

ونوع آخر من التمر يسمى «التمر البرلسى» وهو تمر أحمر اللون كبير الحجم مستدير الشكل لا يقبل الناس على أكله، وهو رطب يضعونه فى الجرار ويصنع منه «الكامخ» فيصبح غاية فى لذة الطعم، ويفصلون حامضه عن طازجه ويصنعون منه الخل.

والخل يصنع كذلك من جميع التمور إلا أن الخل المصنوع من هذا النوع غاية فى الجودة.

كامخ البصل

ورائحة كامخ البصل فى مصر تكاد تقضى على الإنسان، إلا أنه يفيد الفلاحين كثيراً فهو طارد للبلغم.

الجبن القديم

يضعون الجبن فى الملح ويظل فى الجرة خمسة أشهر أو أكثر وعندما تفتح هذه الجرة تنبعث منها رائحة إذا ما شمها تركى تعلق بأذيال الفرار فهى رائحة تكاد تكون قاتلة. أما العرب فيحضرون جرار الجبن القديم ويقطعون الخبز ويضعونه فى ماء الجبن وفيه الديدان وكأنها «خشاف» ويضعون فيه الديدان المسلوقة ويأكلونه ويدعو بعضهم بعض إلى هذا الطعام.

الليمون (ترياق السموم)

إنه ليمون صغير مستدير أصفر، إلا أنه مملوء بالماء الصافى، وتباع المائة ليمونة منه بياره واحدة، إلا أنه ترياق للسم وينقذ حياة المسموم.

الليمون الحامض

وهو كذلك موفور فى مصر، ويأتى على مصر أحد العاملين فى مصنع الحلوى بالأستانة لعصر كميات من هذا الليمون وصنع مئات الزجاجات من الشراب المسك للسلطان.

وهناك «النارنج» إلا أنه حامض، والليمون الحلو كثير، وهناك التين والرمان وسبعة أنواع من العنب والخوخ والمشمش، ولا وجود للمشمش «اللوزى» وهناك البرقوق والزيتون إلا أنهما قليلان، وتأتى الكمثرى والسفرجل بكميات ضخمة من الفيوم. وتأتى السفن من طور سيناء إلى السويس محملة بالتفاح والكمثرى والسفرجل وتحملها الجمال إلى القاهرة لأن التفاح فيها قليل، أما الموز فموفور، أما الجميز فهو وفير جدا ولا تنمو ثمرته على الأغصان وإنما على الجذع الضخم، إنها شجرة عجيبة، لها ثمرة تشبه ثمرة التين، والأبيض والأصفر والأحمر منها غاية فى لذة الطعم، وإن كانت تبدو فى هيئتها كأنها ثمرة تين إلا أن داخلها مفرغ ولا بذرة فيها. وتنمو المائتان والثلاثمائة من شجرة فى موضع واحد، ويباع محصول مائة شجرة بياره واحدة. وهو فى جَنْبِه مشقة يصعد الناس شجره بسلم قبل أن ينضج ويختنون كل ثمرة بسكين فتنضج الثمرة لذيذة الطعم وإذا لم تختن الثمرة فهى لن تكون لذيذة. إنها ثمرة لها رائحة المسك، سهلة الهضم ومقوية.

ولكى لا يأكل العصفـور هذه الثمار يحيطون الجذوع المثمرة بشبـكة صيد فتأمن من الطيور، وظل هذه الشجـرة بقعة طيبة النسيم لا تنفذ إليهـا حرارة الشمس ومن استراح فى ظلها شعر بالنشاط وكأنه لم ينم.

فاكهة النبق

فى حجم ولذة ثمرة الـ «الج» فى تركيا، إلا أن الثانية داخلها ست بذور فى حين أن فى النبق بذرة واحدة، وهى تنمو فى موسم الـشتاء وثمرة فى حجم ثمرة الجوز، ومنها الأحمر والأصـفر والوردى، وهى شـجرة مرتفـعة تعمـر طويلاً وفى تـكية «منـصور الأنصارى» بمصر القديمة شجرة نبق سامـقة عمرت ألف عام وتؤتى أكلها فى كل وقت نواة النبق كنواة الكرز ولذلك يسمون كرزنا النبق وطبيعته قابضة.

فاكهة ( )[1]

إنها فاكهة عجيـبة فى لذة تمر طرابيزون فى بلاد الترك ولكنـها لزجة فى فم الإنسان كأنها الغراء، إلا أنه لذيذ مقو وأشجاره سامقة.

الخيارشنبه

أشجارها تشبه شجر الجوز وأوراقها كذلك تشبه أوراقه، وله أزهار صفراء.

ثمارها طويلة كالسوط يبلغ طولها ذراعا أو ذراعين، وهى تشبه الثعبان فى طولها وفى أول نموها تكون خضراء وعند نضجها يسود لونها وبداخلها عقد من العسل الأسود.

يضيفـها الأطباء إلى المعاجيـن، فهى ملينة، كمـا يصنع منها المربـى وبعض الأدوية الجيدة. وعندما تكون الـثمرة ما زالت زهرة صفراء يصنعون منهـا الخميرة والمربى. إنها فاكهة مفضلة لدى العوام من الناس وخـواصهم. إلا أن كل أشجارها تحتكرها الحكومة وأصحابهـا لا يستطيعـون قطف ثمرة من ثمـارها فهى أمانة عـندهم للحكـومة وتدفع لأصحابها أقجة واحدة عـلى السبعة عشر حملاً منها، وثمـارها تحت تصرف الحكومة، وتصدرها لملوك الأستانة، وتحصى ثمارها ثمرة ثمرة وهى ما زالت فوق أشجارها ويقيد ذلك فى دفاتر حتى إذا ما نقصت منها ثمرة غُرِّم صاحب البستان.

(١) بياض فى الأصل.

شجرة السرو

وهو فى مصر كثير ، كما توجد شجرة «دلب الفستق» وهى موجودة فى حديقة «نقيب الأشراف»، وشجرة «الصنوبر» وهى كذلك موجودة فى حديقة نقيب الأشراف ولا وجود لسواها.

شجرة الجوز

شجرة فى حقل نذير أغا فى عمق قلعة الكبش ولا وجود لسواها ولكنها تكثر فى مدينة الفيوم.

شجرة السبحة

قريبة الشبه من شجرة الجوز إلا أن أوراقها صغيرة، تنمو على غصونها التى تشبه السبحة. وتثقب ثمارها عندما تنضج وتصنع منها السبح، ومن يشاهدها يعجب لإبداع الخالق قائلاً: سبحان الله الذى خلق هذه الشجرة المستديرة التى تصنع منها السبح لذكر اسمه.

شجرة السنط

أشجار سامقة فى غلظ رَجُلين، أوراقها كأوراق شجرة الكرز إلا أنها لا تؤتى ثماراً. تصنع السفن من خشبها وتحرق وقودا، ولا رماد لها، وجمارها حمر. إنها شجرة صلبة، تستخدم أوراقها لعلاج الإسهال، فتدق فى الهاون وتخلط بالعسل وإذا ما تناول شخص خمسة دراهم من هذا الخليط على الريق شفى من الإسهال.

وأخشابها غاية فى الصلابة حيث تصنع منها سفن تعمر مائة عام فى البحار. وبعض الأبنية العتيقة التى مضى على بنائها ألف عام أو أكثر أسسها من هذا الخشب. ومن ثم لا وجود لأشجار فى صلابة السنط والبقس، ومن الناس من يسميها «أشجار العالم الجديد»، إلا أن جو مصر يغير لونها.

شجرة الساج

ليست شجرة كبيرة، أوراقها كأوراق شجرة الكرز وهى دائمة الخضرة، تكثر على ضفاف النيل وهو شجر يقبل أهل مصر على زراعته، إلا أنه لا يؤتى ثمارا.

شجرة الحناء

شجرة فى حجم شجرة البرقوق التى فى بلاد الترك، ولها نوع خاص من النَّوْرِ زكىُّ الرائحة، ويقدمها البستانيون هدية إلى الأعيان، ولكن ليس لها ثمار، إلا أن رائحتها تهب الروح. وهى ليست الحناء التى تستعملها النساء.

شجرة الحناء (حناء يد وقدم النساء)

تكثر فى مدينتى بلبيس والقرين، إنها أشجار قصار، ترتوى على الدوام بماء السواقى ويجمعها النساء والأطفال فى موسم حصادها يقطفون أوراقها وتطحنها الطواحين وتصنع منها الحناء فتصبح فى لون الياقوت الأحمر. وكنت أُسَرُّ عندما أشاهدها فى كعب العجائز من نسائنا.

شجرة الصفصاف

وهى كثيرة، وأوراقها مفيدة لمرضى اليرقان، فتسحق أوراقها فى هواوين خشبية لاستخلاص مائها، وإذا شرب مريض منه كأسا فى ليلة مقمرة شفى من اليرقان فى الصباح.

شجر الحور

يوجد فى البساتين هنا وهناك.

وشجر «العُلْكِ الأسود» منتشر هنا وهناك كذلك.

شجر التوت

وثماره منها الأبيض والبنفسجى والأسود الحامض، إلا أن أشجار التوت المحيطة بقصر ذى الفقار بك أمير الحج على ضفة بِركة الفيل لا نظير لها فى الدنيا، بأسرها وجذعها فى غلظ أربعة أشخاص وأغصانها تظل ما حول القصر وتحت جميع أغصانها أكثر من أربعين عموداً وظِلاَلُها كأنها قاعة ديوان عظيمة. وعلى مصطبة تلك الحديقة مكان يتسع لتناول ألفين طعامهم. وثمارها لذيذة الطعم كأنها اللؤلؤ، وهى غزيرة العصير.

ومجمل القول أنه لا وجود لمثل ثمار هذه الحديقة فى الدنيا.

شجر الآس

إنه كثير إلا أنه لا يثمر كآس حلب.

شجر (اتله)

أوراقها كأوراق شجرة السرو إلا أن خشبها ليس مثقوبا كخشب السرو، كما أنها كذلك لا تثمر، ويستخدم خشبها فى أعمال البناء، كما تستخدم حطبًا.

شجر التمر الهندى

ينتشر هنا وهناك فى الحدائق، وهو يثمر.

شجر الجميز

ذكر آنفًا.

شجرة السيسبان

إنه نوع من الأشجار الصغيرة التى لا تعمر طويلاً، يزرع حول حقول قصب السكر، ولِنَورته رائحة إذا ما شمها الفأر أو ابن عرس لم يدخل حقل القصب ليأكله، ويضاف فحم هذه الشجرة إلى البارود.

وكم من أشجار أخرى توجد فى مصر إلا أن الكلام بذكرها يطول، لذا اكتفينا بذكر ما سلف من أشجار.

***